٦

سلسلة

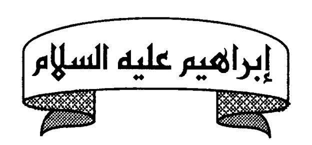
قصص الأنبياء

إبراهيم عليه السلام

تأليف
الشيخ /بكر محمد إبراهيم

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده
خلف الجامع الأزهر ت ٥١٠٩٨٨٧

رقم الإيداع	١٨١٩٠ / ٩٩
ترقيم دولي	977-5096-61-8



إبراهيم عليه السلام

*مولد إبراهيم عليه السلام

رأى النمروذ ملك البلاد في ذلك الوقت في منامه ، كأن كوكبًا طلع فأذهب ضوء الشمس والقمر ، حتى لم يبق لهما ضوء ، ففزع[1] من ذلك فزعًا شديدًا ودعا السحرة والكهنة والقافة[2] وسألهم عن ذلك .

فقالوا : هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه .

فأمر النمروذ عليه لعنة الله بذبح كل غلام يولد في تلك الناحية تلك السنة ، وأمر بعزل[3] الرجال عن النساء ، وجعل على كل عشرة رجلاً رقيبًا أمينًا ، فإذا حاضت المرأة خلى بينه وبينها ، إذ أمن المواقعة (الاتصال) فإذا طهرت عزل الرجل عنها فرجع آزر أبو إبراهيم فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فوقع[4] عليها في طهر فحملت بإبراهيم عليه السلام .

قال ابن إسحاق : بعث النمروذ إلى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده إلا ما كان من أم إبراهيم فإنه لم يعلم بحبلها،

---

(١) فزع : خاف . (٢) القافة : علم يعرف به الأنساب .
(٣) حتى لا ينجبوا أولادًا . (٤) وقع عليها : اتصل بها اتصال الزوجية .

وذلك أنها كانت جارية حديثة السن[١] لم تعرف الحبل ولم يبن ما في بطنها. خرج النمروذ بالرجال إلى المعسكر ونحاهم عن النساء تخوفًا من ذلك المولود أن يكون فمكث كذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة إلى المدينة فلم يأتمن عليها أحدًا من قومه إلا آزر فدعاه وقال له : إني لي إليك حاجة أحب أن أوصيك بها ولم أبعثك إلا لثقتي بك ، فأقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك ولا تواقعها. فقال آزر : أنا أشح على ديني من ذلك .

فأوصاه بحاجته ثم بعثه فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال: لو دخلت إلى أهلي فنظرت إليهم فلما نظر إلى أم إبراهيم لم يتمالك حتى وقع عليها ، فحملت بإبراهيم عليه السلام .

قال ابن عباس : لما حملت أم إبراهيم قال الكهان للنمروذ[٢] إن الغلام الذي أخبرناك به قد حملت به أمه في هذه الليلة فأمر النمروذ بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم إبراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في نهر يابس[٣] ثم لفته في خرقة[٤] ووضعته في حلفاء (موضع) ورجعت فأخبرت زوجها بابنها وأنها قد ولدت، وأن الولد في موضع كذا فانطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سردابًا عند نهر فواراه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع، وكانت أمه تختلف إليه فترضعه.

(١) حديثة السن : امرأة صغيرة .
(٢) النمروذ: ملك بلدة «أور» بالعراق وهى البلدة التى ولد بها إبراهيم عليه السلام
(٣) يابس : جاف . (٤) خرقة : قطعة قماش .

قال السُدي : لما عظم بطن أم إبـراهيم خشي آزر أن تذبح ، فانطلق بهـا إلى أرض بين الكوفة والبـصرة(١) يقـال لها وركـاء ، فأنزلها في سرب(٢) من الأرض ، وجعل عندها ما يصلحها وجعل يتعهدها ويكتم ذلك عن أصحابه ، فولدت إبراهيم - عليه السلام - في ذلك السرب فشب فكان وهو ابن ست كابن ثلاث سنين ، وصار من الشـباب بحالة أسقطـت عنه طمع الذباحين ، ثم ذكر آزر لأصحابه أن له ابنًا كبيرًا فانطلق به إليهم .

قال ابن إسحـاق : وكان آزر سأل أم إبراهيم عن حمـلها ما فعل فقـالت ولدت غلامًا فمات فـصدقها وسكت عـنها ، وكان اليوم على إبراهيم - عليه الـسلام - في الشباب كالشهـر والشهر كالسنة فلم يمكث إبراهيم - عليه الســلام - في المغارة إلا خمسة عشـر يومًا حتى جاء إلى أبيـه فأخبـره أنه ابنه ، وأخبـرته أمه بما كـانت قـد صنعت في شـأنه ، فـسـر آزر بذلـك وفـرح فـرحًا شديـدًا .

* تأملات إبراهيم عليه السلام

قـال أهل العلم بالسـير والتـاريخ :لما شب إبراهيم - عليـه السلام - وهو في السرب قال لأمـه : من ربي ؟ فقالت : أنا ، قال : فمن ربك ؟ قالت : أبوك(٣) قال : فمن رب أبي ؟ قالت: النمروذ ، قال : ومن رب النمروذ ؟ قالت له : اسكت فسكت. ثم رجعت إلى زوجـها فـقالت : أرأيت الغـلام الذي يُحدث أنه يغير دين أهل الأرض ، فإنه ابنك . ثم أخبرته بما قال لها . فأتاه

(١) لم تكن الكوفة والبصرة قد بنيتا وقتئذ . (٢) سرب : نفق تحت الأرض.
(٣) أبو إبراهيم كان وزيرًا للملك وكان فى نفس الوقت يصنع الأصنام ويبيعها.

أبوه آزر فقال له إبراهيم – عليه السلام – يا أبتاه من ربي ؟ قال : أمك ، قال : فمن رب أمي ؟ قال : أنا ، قال : فمن ربك ؟ قال : النمروذ . قال : فمن رب النمروذ ؟ فلطمه لطمة وقال : اسكت . يقول تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء :٥١] . ثم قال لأبويه : أخرجاني فأخرجاه من السرب ، فانطلقا به حتى غابت الشمس ، فنظر إبراهيم – عليه السلام – إلى الإبل والبقر والغنم والخيل يُراح[1] بها ، فسأل أباه : ما هذه ، فقال : إبل وخيل وبقر وغنم . فقال : لابد من أن يكون لها رب خالق ، ثم نظر وتفكر في خلق السموات والأرض ، وقال : إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي ما لي إله غيره ، ثم نظر فإذا المشترى قد طلع ، ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة من آخر الشهر ، فرأى الكواكب قبل القمر ، فقال : هذا ربي .يقول تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾** ﴾ [الأنعام: ٧٤ – ٧٩] . كان إبراهيم – عليه السلام – في بيئة

(١) يراح بها : يعاد بها إلى حظائرها .

تغلغل فيها الشرك فكانوا يعبدون الأصنام والكواكب وكانوا يجعلون الأصنام رمزًا للكواكب وكانوا أيضًا يعبدون ملكهم النمروذ فقد كان يدعى الألوهية كشأن الكثير من الملوك فرعون وغيره . فنظر إبراهيم - عليه السلام - وهو طفل صغير إلى السماء يبحث عن ربه ولم يكن أبوه يعلمه الإيمان والتوحيد فقد كان الناس مشركون بما فيهم أبوه وأمه . فلما رأى الزهرة مضيئة مشعة مرتفعة في السماء ، قال : ربما تكون هي الإله فلما غابت علم أنها حادثة مخلوقة ثم رأى القمر منيرًا يضيء الليل مرتفعًا في السماء جميل الصورة ، فقال هذا ربي، ثم غاب القمر (أفل) فعلم أنه ليس ربًا وأن هناك من يغيبه ويظهره . ثم مكث طوال الليل يتأمل السماء وقد كان يظن أن الكواكب أكبر من النجوم لأنها تبدو هكذا في حين أن النجوم أكبر من الكواكب ملايين المرات ولكنها تبعد عنا ملايين وآلاف الملايين من السنين الضوئية - الثانية الضوئية ٢٥٠ ألف كليو متر - . وظل في تأملاته ونظره إلى السماء حتى طلعت الشمس فرآها أكبر وأجمل من الكواكب ومن القمر وأكبر ضوءًا منهما ، فقال هذا ربي هذا أكبر ، فلما رآها تغيب في آخر النهار علم أنها مخلوقة محدثة فتبرأ من قومه المشركين الذين يعبدون الكواكب والنجوم ، وقال لهم : إني وجهت وجهي أي أسلمت نفسي للذي فطر السموات والأرض أي خلقها - حنيفًا - أي مائلاً عن الشرك والباطل إلى التوحيد وأكد نفي الشرك عن نفسه. والإنسان يا بني العزيز يعلم بفطرته - أي بخلقته - التي فطره الله عليها أن لهذا الكون إلهًا خالقًا قادرًا حكيمًا ولكنه لا يعرف اسم الإله الواحد ولا شرعه وأمره

ونهيه إلا عن طريق الوحي .ويقول بعض المفسرين : إن إبراهيم – عليه السلام – كان يدعى موافقة قومه الصابئة في أول المناظرة ثم انتقل بالتدريج إلى بطلان عقائدهم وفساد دينهم بأدلة العقل ، والله أعلى وأعلم . وكان أبو إبراهيم يصنع الأصنام ، فلما ضم إبراهيم إلى نفسه جعل يصنع الأصنام ويعطيها لإبراهيم ليبيعها،فيذهب بها إبراهيم- عليه السلام - فينادي : من يشتري ما لا يضر ولا ينفع ، فلا يشتري أحد منه فإذا بارت عليه-كسدت-ذهب بها إلى النهر فضرب رؤوسها وقال لها اشربي استهزاءًا بقومه وبما هم عليه من الضلالة والجهالة حتى فشا عيبه إياها واستهزاؤه بها في قومه وأهل قريته ، فحاجه - جادله - قومه في دينه ، يقول تعالى : ﴿ **وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾** ﴾.كانت تلك الآيات هي الحجة التي ساقها إبراهيم على قومه فغلبهم بها، قال لهم وقد هددوه بأصنامهم وكواكبهم كما فعل قوم هود مع هود فقال لهم كيف أخاف آلهتكم الباطلة التي لا تضر ولا تنفع بذاتها وهي لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر ولاتفعل شيئًا ولا تملك شيئًا إن الأولى أن تخافوا أنتم الله ربكم الذي خلقكم وخلق كل شيء وهو الذي ينفع

ويضر ويملك كل شيء وأنتم قد اتخذتم من دونه آلهة لم يأمر بها الله ولم ينزل بها كتاب فليس لكم حجة من الشرع أو العقل وإنما هي أسماء سميتموها واخترعتموها دون دليل أو حجة.

* دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه

قال تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾** ﴾ [مريم : ٤٢ - ٤٥] . هذا ما قاله إبراهيم - عليه السلام - لأبيه فماذا كان رد أبيه على هذه الحجة المقنعة والحق البين والخطاب الرقيق ؟ لم يلب والده دعوة إبراهيم وأصر على الكفر وعاند الحق وقال كما حكى القرآن الكريم في سورة مريم :﴿ **قَالَ أَرَاغِبٌ**(١) **أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ**(٢) **وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**(٣) **﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ**(٤) **لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ**(٥) **وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾** ﴾ [مريم : ٤٦ - ٤٨] . ثم توجه إبراهيم - عليه

---

(١) أراغب : أكاره (٢) أرجمك : أقذفك بالحجارة حتى الموت .

(٣) واهجرني مليا : أي مدة طويلة أي طردة .

(٤) سأستغفر : نهى الله تعالى عن الاستغفار للمشركين وقد كان إبراهيم يأمل في هداية أبيه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه .

(٥) وما تدعون من دون الله : في هذا دليل على أن دعوة غير الله فيما لا يقدر عليه شرك كطلب الشفاء أو النجاح من المخلوق حيًا أو ميتًا .

السلام - بالدعوة إلى الله لقومه وأخذ في سياق الحجج المدعمة لدعوته ، والتي تبطل باطلهم وتقنعهم بصحة دعوته .

* دعوة إبراهيم - عليه السلام - لقومه

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٠ - ٨٩].

وبلغ أمر إبراهيم -عليه السلام- إلى النمروذ الجبار فدعاه فقال له: يا إبراهيم أرأيت (أخبرني) إلهك الذي بعثك وتدعو إلى عبادته وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو ؟ قال إبراهيم - عليه السلام - رب الذي يحيي ويميت . قال النمروذ : أنا أحيي وأميت. قال إبراهيم : كيف تحيي الموتى ؟ قال النمروذ: آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي ، فأقتل أحدهما ، فأكون قد أمته ثم أعفو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته . فقال

إبراهيم : فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت (سكت وتحير) الذي كفر عند ذلك، ولزمته الحجة، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] .

* كيد إبراهيم - عليه السلام - للأصنام

أراد إبراهيم - عليه السلام - أن يري قومه ضعف الأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله وعجزها إلزامًا للحجة عليهم فجعل ينتهز لذلك فرصة إلى أن حضر عيد لهم .

قال السُدي : كان لهم في كل سنة عيد يخرجون إليه ويجتمعون فيه فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم عادوا إلى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم : يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا ، فخرج معهم إبراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال : إني سقيم[1] أشتكي رجلي فتولوا عنه وهو جريح فلما مضوا نادى في آخرهم ، وقد بقي ضعفاء الناس وقال : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥٧] ثم رجع إبراهيم - عليه السلام - إلى بيت الآلهة ، وكان عندهم طعام تركه القوم لهم حتى يباركوه ، فقال للآلهة على سبيل الاستهزاء: ألا تأكلون فلما لم يجيبوه قال﴿ مَا لَكُمْ لا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾ وجعل يكسرها بفأس في يده حتى لم يبق إلا

(١) سقيم : مريض .

الصنم الكبير فعلق الفأس في عنقه ثم خرج فذلك قوله تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٨] . والجذاذ : القطع . فلما جاء القوم من عيدهم إلى بيت الآلهة ورأوها بتلك الحالة : ﴿ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ فلما وصل الخبر إلى النمروذ الجبار أمرهم بإحضاره على مرأى من الناس وتمت محاكمته ، يقول تعالى : ﴿ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنبياء : ٦١ - ٦٥] . قال رسول الله ﷺ : « **لم يكذب إبراهيم - عليه السلام - إلا ثلاث كذبات كلها في الله تعالى :**

١- قوله : إني سقيم .

٢- وقوله : بل فعله كبيرهم هذا .

٣- وقوله للملك الذي عرض لسارة : هي أختي » .

ولم يكتف إبراهيم بذلك بل استمر في حجته وقال لقومه : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأنبياء : ٦٦ - ٦٧] . ولما لم يستطيعوا الرد لجأوا إلى استعمال القوة والعنف . ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : ٦٨] إن الذي أشار عليهم بتحريق إبراهيم في النار

رجل من الأكراد واسمه هينون ، فخسف الله تعالى به الأرض وهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة .

قال ابن إسحاق : كانوا يجمعون الحطب شهرًا حتى إذا كثر الحطب وجمعوا منه ما أرادوا.

أشعلوا النار في كل ناحية حتى إن كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها، ثم عمدوا إلى إبراهيم-عليه السلام- فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقًا(١) بإشارة إبليس-لعنة الله عليه-حيث لم يتمكنوا من إلقائه في النار من شدة حرها فاتخذوا المنجنيق ووضعوه-عليه السلام- مقيدًا مغلولاً ولكن الله عز وجل قال : ﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ** ﴿٦٩﴾ **وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ** ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء : ٦٩ - ٧٠] . وخرج إبراهيم عليه السلام مهاجرًا إلى أرض الشام وابن أخيه لوط - عليه السلام - .

جاء جبريل - عليه السلام - إلى إبراهيم وهو في النار ، وقال له : يا إبراهيم ألك حاجة ؟ فقال إبراهيم -عليه السلام-: أما إليك فلا، ثم قال: حسبي الله ونعم الوكيل، يقول الرسول ﷺ: « **حسبي الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عندما ألقي في النار** » . ولم يقل كما يقول بعض الجهال علمه بحالي يغني عن سؤالي، فإن الدعاء هو العبادة كما ورد عن الرسول ﷺ ويقول تعالى: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ**

(١) المنجنيق : آلة لقذف الحجارة والنيران تهدم الحصون.

جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ [1]﴾ ويقول تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ وأمر الله تعالى النار أن تكون بردًا وسلامًا في آن واحد حتى لا يؤذيه البرد إذا ما تحولت النار إلى برد فقط . ويتجلى إخلاص إبراهيم لله وثقته به والتوجه إليه وحده بالدعاء والاستغاثة في قوله لجبريل عليه السلام : أما إليك فلا . وهناك ملحظ آخر يا بني العزيز : إن الظالم إذا بهت وسقطت حجته أمام نصاعة حجة الحق لجأ إلى القوة ليغطي بها باطله .

* هجرة إبراهيم - عليه السلام -

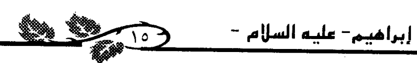
بعد أن بذل إبراهيم-عليه السلام-الجهد والمثابرة لهداية قومه ما كان منهم إلا أن جفوه وحاكموه وألقوه في النار ، وقبل ذلك هدده أبوه أن يرجمه إذا استمر على جحد الأصنام ، ولم يؤمن له من قومه سوى زوجه سارة ، ولوط ابن عمه هاران بن تارح .

* رحلته إلى أور الكلدانيين ثم حاران

تبرأ إبراهيم من أبيه عندما أصر أبوه على الكفر والشرك . فذهب إلى أور الكلدانيين (مدينة قرب الشاطئ الغربي للفرات) ثم حاران ، وكان إبراهيم قد نال من أبيه وعدًا أنه سيؤمن فاستغفر الله له . ولكنه علم بعد ذلك أنه مقيم على دين قومه فتبرأ منه . قال تعالى في سورة التوبة : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة : ١١٤] .

---

(١) داخرين : أذلاء.



* رحلته إلى فلسطين

رحل إبراهيم بعد ذلك إلى فلسطين غريبًا ومـعه زوجه سارة وابن أخيه لوط ومع لوط زوجه كـما قال تعالى: ﴿ **فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [العنكبـوت: ٣٦] . وسكن إبراهـيم ولوط في تلك الأنـحـاء وكـانت أرض الكنعـانيين وأقام في شـكيم وهي مدينة نابـلس ولكنه لم يطل به المقام بل كان ينتقل نحو الجنوب .

* رحلته إلى مصر

حدث جـدب في الأرض فانتقل إبراهيم إلى مـصر ، وذلك في عهد ملوك الرعاة وهم العماليق (الهكسوس) فأظهر أن التي معـه أخته وأراد الملك أخـذها فنجاها الله منه فـردها إلى إبراهيم وأهداه بعض الهدايا .

كانت سارة زوج إبراهـيم عاقرًا لم تلد وكان ملك مـصر قد أعطى سارة جارية مصرية فأهدتها إلى إبراهيم ولم تكن قد أنجبت رغم أنها قد كبرت سنها فدخل إبراهيم عليه السلام بهاجر فولدت إسمـاعيل عليه السـلام . ثم بعد ذلك جـاءت الملائكة إلى سارة وبشرتها على الكبر بإسحاق فولدت به عليه السلام .

* إبراهيم والملائكة

رأى إبراهيم عليه السلام ثلاثة رجال في البـرية فاستقبلهم ، وكان إبراهـيم يحب قرى (إطعـام) الأضيـاف ، فمالوا إلـيه ، فصنع لهم طعامًا وعهد (توجـه) إلى عجل سمين فذبحه وسوّاه في النار وجاء به حنيذًا (مشويًا) وقـربه إليهم فلم تمتد إلى طعامه

أيديهم فارتاب في شأنهم وأوجس منهم خيفة ، فخاطبهم في هذا الشأن وعلم أنهم ملائكة أرسلهم الله تعالى للانتقام من أهل سادوم وعامورة قوم لوط ، لفعلهم الفاحشة في الرجال . وسنتكلم بني العزيز عن هذه القصة بتفصيل في كتاب آخر من هذه السلسلة إن شاء الله تعالى .

* حب الاستطلاع عند إبراهيم عليه السلام

كان إبراهيم - عليه السلام - محبًا للاستطلاع مشغوفًا بأن يرى الشيء الذي يقع موقع الغرابة فسأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى ، اقرؤوا قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٦٠] . وكان الله تعالى قد أوحى إلى إبراهيم أنه سيحيي الموتى ويحشرهم ليوم لا ريب فيه (يجمعهم ليوم لا شك فيه) ويجازي المحسن بإحسانه والمسيئ بإساءته فأحب أن يرى شيئًا عاد إلى الحياة فأخذ إبراهيم الطيور وذبحها وقطعها وفرقها على الجبال ثم دعاها فأتته كأنها لم تمت من قبل وهكذا رأى إبراهيم من آيات ربه فهو سبحانه على كل شيء قدير .

